لماذا العنف؟
لماذا نرْفُضُ السَّلام؟

دليل دراسي لمساعدة الأفراد
والمجموعات للتبصّر والمبادرة خلال
عقد «التغلب على العنف»

المحتويات

كيف تستخدم هذا الدليل الدراسي

هل العنف حتمي؟

كيف نستخدم القوة؟

كيف نتصرف بإنصاف؟

أيّة هُويّة؟

ماذا ستفعل؟

موارد للتخلّص من العُنف

الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتيّب تعبّر عن قناعات أصحابها، ولا تمثّل رأيًا رسميًا لمجلس الكنائس العالمي. وُضعت مواد هذا الكتيّب بغرض تشجيع استجابه نشطة لموضوع «عقد التغلّب على العنف».

النصوص والموادّ: ديانا ماڤوندوس وسيمون أوكسلي

من مطبوعات مجلس الكنائس العالمي

كيفية استخدام هذا الدليل الدراسي

سوف يساعدكم هذا الكتيّب على التبصّر في موضوع «عقد التخلّص من العنف»، والمبادرة إلى تعزيز فرص المصالحة والسلام.

ستجدون في هذا الدليل الدراسي:

- ❑تعريفًا أساسيًا لموضوع «عقد التغلّب على العنف»؛
- ❑ أربعة أجزاء لموادْ تساعد على التأمّل ودراسة الموضوع؛
- ❑جزءًا يشرح كيفيّة الانتقال إلى مستوى المبادرة؛
- ❑ صلاتين على الغلاف الخارجي الأخير.

يشتمل كل جزءٍ على ثلاثة أقسام:

- ❑ تمارين تساعد على الولوج في الموضوع انطلاقًا من الاختبار الشخصي؛
- ❑ موادّ محفّزة للنقاش في الموضوع؛
- ❑ اقتراحات لدروس كتابيّة.

وفي توجهكم لتكييف مواد هذا الكتيّب مع واقعكم يجدر بكم أن تتعاملوا مع الأقسام الثلاثة معًا وبجدّية؛ وأن تتنبهوا لضرورة الانتقال من مرحلة التأمل والدراسة إلى تحديد نوعية الخطوة العمليّة التالية.

يمكنكم استعمال هذا الدليل الدراسي في تأملات فرديّة؛ إنّما من الأفضل جدًا أن تتشاركوا فيها مع مجموعات بحث، الأمر الذي يتطلب تحضيرًا جيّدا. لذا وجب أن يكون شخص واحد على الأقل على إطلاع كامل بموادّ هذا الدليل كيّ يقدّر ان يقود البحث في المجموعة. في البداية يجب أن يتأمن الجو المريح البعيد عن التوتر؛ لذا كان الجلوس على شكل دائري عاملاً مساعدًا جدًا على خلق هذا الجوّ. إبدأ الحديث طارحًا رأيك الشخصي، ومن ثم وسّع إطارَ البحث. اعطِ فرصة لكل من يريد أن يطرح وجهة نظره، دون أن يمسّ ذلك بشعور الآخرين؛ وتذكرّ بأن الإصغاء لا يقلّ أهمية عن الكلام، وبأن الكلمةَ قد تسبّب أذى أكثر من العنف الجسدي!! وحاول أن توجه النقاش إلى نهايةٍ ترفع فيها صلاة أو أكثر.

ليباركك الربّ في تأملك، وفي تفاعلك، وفي مساهمتك.

دعوة للمشاركة

«السلام ليس أمرًا نتمنّاه؛ إنه حالة نصنعها نحن، نعملها، نحياها...نعطيها للآخرين». (الأم تريزا)

هذا القول للأم تريزا يتحدّانا لنكون صانعي ومُعْطِي سلام؛ ويذكرنا بأن السلام هو حالةٌ بداخلنا أولاً. إنما، ولكي نحقق السلام، يجب علينا أن نعملَ معًا؛ وهذا بالضبط ما يسعى إليه عقد التخلص من العنف: إنه يسعى – من خلال سعي الكنائس للمصالحة والسلام – أن يتحدّانا للتحرك والمبادرة. فالعمل معًا سيمكّننا من فهم اعمق لترابط ظاهرة العنف بأبعادها المحلية والعالمية، ومن ادراك مسؤوليتنا– دون أن ندري– عن العنف الحاصل اليوم. إننا على يقين بأن مساهمتنا في العمل كعائلة مسكونية كونية سيمكننا من اختبار نماذج جديدة لصنع السلام.

وبما أن العنف ظاهرة سريعة الانتشار ومتعدّدة الأوجه، وجب على أعضاء الكنائس أن يلتحق كلّ واحد وواحدة منهم بعقد التخلص من العنف، إما على الصعيد المحلّي أو الوطني أو الأقليمي أو الدولي.

«كيف نكسر حلقة العنف؟» هو من أهم الأسئلة التي يطرحها عقد التخلص من العنف. في هذه الدراسة تتعرفون الى جزء من الجواب، وهو «بنفس الطريقة التي تحطّمون فيها حلقة الجهل: علّموا الناس».

لماذا عقد التّغلّب على العنف؟

قد نظن بأن الانجازات التكنولوجية الهائلة التي حققها الانسان خلال القرن العشرين قادت الى انجازاتٍ مماثلة في علاقات البشر مع بعضهم البعض. العكس هو الصحيح، حيث أن العنف الإثني والعرقي والاقتصادي والبيئي والجنسي استمرّ وتفاقم أكثر من ذي قبل؛ وليس من لحظة في التاريخ أفضل من هذه اللحظة لنقف ونلقي نظرة فاحصة على القرن الماضي.

انطلقت فكرة «عقد التغلب على العنف» من الهيئة العامة الثامنة لمجلس الكنائس العالمي التي انعقدت في هراري–زمبابوي سنة ١٩٩٨، كاستجابة لنداءٍ من أجل سلام الأجيال القادمة؛ فهي بذلك تطرح أمامنا تحديًا لاستعراض أحداث القرن الماضي. وقد صدر لاحقًا عن اللجنة التنفيذية لمجلس الكنائس العالمي، التي انعقدت في برلين في ٤ شباط ٢٠٠١ ، الدعوة لانطلاقة العقد في الكلمات التالية: «نلتقي معًا من زوايا الارض الأربع،

مدركين الحاجة الماسّة للتغلب على العنف الذي يكتنف حياتنا ومجتمعاتنا وعالمنا ونظام الخلق بأسره. إننا نُطلق هذا العقد كاستجابةٍ لتوق عميق عند شعوبنا لبناء سلام دائمٍ مبنيٍّ على العدل».

إلاّ أن هذا العقد لا ينتظم على برامج معيّنة؛ بل هو دعوة لكل الهيئات والكنائس المسيحية ليقدّموا مواهبهم وطاقاتهم من أجل صنع السلام، كلّ بحسب دعواهم الخاصة، ليتعلّموا معًا كيف يعملون معًا. إنها أكثر من مجرد تأثير على السلوكية الفرديّة؛ إنها بحثٌ عن الأسباب الأساسية لظاهرة العنف البشري، وترتبط ارتباطا وثيقًا بالظلامات المنهجيّة التي تؤدي إلى العنف. وقد يكون من الأهميَّة القصوى أن تقوم الكنائس والأفراد بمراجعة مفاهيمنا الكتابية لدعوة الله للمصالحة والعدل.

عندما نفهم سبب وجود العنف نعرف ماذا يجب أن نفعل، أو لا نفعل، لتخفيف مستويات العنف– في ذواتنا وفي العالم، ولنخلق ونغذّي الوعي والمصالحة والتسامح.

في محاولته لإثارة التفكير والمبادرة في عقد التغلب على العنف، ميّز مجلس الكنائس العالمي أربعة عناوين تشكل أسبابًا أساسية للعنف هي ثمرة استبيانات لمعظم الكنائس الأعضاء.

هذه العناوين الأربعة هي:

- ❑ روحيّة ومنطق العنف؛
- ❑ استعمال وسوء استعمال ومفاسد السلطة؛
- ❑ مواضيع العدالة؛
- ❑ الهوية الدينيّة، والتعدّدية.

هذه المواضيع أُفردت ليس من أجل دراسة أكاديميّة، بل كالعدسة التي تستطيع الكنائس من خلالها أن تكون أكثر استبصارًا للتحديات التي ستواجهها في التغلّب على العنف، واستطرادًا لمساعدتها في ايجاد الحلول الدائمة.

ومن المسلم به أن خصائص وديناميكية وتفاعل هذه العناوين الأربعة تختلف باختلاف السياقات الكنسيّة. لذا وجب دراسة هذه العناوين الأربعة على ضوء خلفية كل كنيسة على حدة.

هل العنف سلوك حتمي؟

استهلال

تصفّح الأخبار اليومية (إذاعة– جرائد –تلفزيون)، ولاحظ عدد الأخبار التي تنطوي على قدرٍ ما من العنف. تأمل في درجة حدّة العنف. هل ينقل الاعلام كل حقيقة العنف الحاصل؟

قد تجد الفرصة سانحة لكي تبدي رأيك في مظاهر العنف؟ لكن انتبه، فقد يوجد بين سامعيك من كانوا ضحايا أعمال عنف؛

وأنت تقرأ، أو تسمع، أو تراقب أخبار حوادث العنف، هلا تساءلت لماذا أوردت وسيلة (وسائل) الإعلام تلك هذا الخبر بالذات؟!

هل لاحظت نسبة أفلام السينما المعروضه في دور السينما، أو على شاشات التلفاز، والتي تتضمّن أحداثها مشاهد عنف فظيعة؟!

للمساعدة على فهم العنف

العنفُ منفّرٌ، لكنه أيضًا جذّاب.
العنفُ مُحَذّرٌ، لكنه أيضًا مُسَلٍّ.
العنفُ مدمّرٌ ، لكنه أيضًا مطمئن.

نحن البشر يتنازعنا رأيان حول العنف؛ لكننا جميعًا شبهُ مقتنعين أن لا مفرَّ من العنف، حيث تعْكس أحوالُ مجتمعاتنا ودولنا والعالم هذه النتيجة المؤلمة. عندما نفكّر بما يمكن أن يفعله قلب الإنسان الشرير لأخيه الإنسان، لا يمكن إلاّ أن ننزع إلى هذه النظرة التشاؤميّة.

الإيمان يُظهر لنا أن هناك طريقة أخرى لتناول الطبيعة البشريةّ. ففي تأمله بموقع الانسان من الخليقة، يضع المرنمُ الإنسان في أعلى مرتبة بين خلائق الله (مزمور ٨). فإذا كان الله قد خلق الإنسان على صورته ومثاله (تكوين ١:٢٧)، حريٌّ بنا أن نفتش عن تعابير هذه الصورة في ذواتنا. إنّ استسلامنا لنظرة سلبيّة عن الإنسانية يعني أننا نعبد إلهًا خبيثًا حقودًا يلتذ بسفك الدم– لا الله الذي نعرفه في المسيح يسوع. هذا لا يعني أن نعيش في عالم الخيال، حيث كلّ الأشياء جيدةٌ ومدعاةٌ للاطمئنان. إنّما يعني أن نبني رؤية

للإنسانية المُرتجاة تساعدنا على تحويل مجتمعاتنا من حتمية العنف إلى طبيعة السلام. ومن أجل هذا علينا ان نكون واقعيين ومتمسّكين بالرجاء. علينا أولاً أن نُقِرّ بمسؤوليتنا في نشر ثقافة العنف، ومن ثمّ قبول المسؤولية في تغيير ذلك!! من السهل علينا دائمًا أن نَتَنَصّل من أية مسؤولية ونلقي اللوم على آخرين أو جهات أخرى : المجتمع – الكنيسة – العالم– المجتمع الاستهلاكي...الخ. أو ربّما طبيعتنا الشريرة (!) أو واقع الأحداث. هذا لا يعني أن نتجاهل مسؤولية هذه الجهات؛ إنما لا يجوز أن نكتفي بإلقاء اللوم عليها ونتناسى مسؤوليتنا نحن، وكأننا نحن ضحايا أمرٍ مُقضىً؛ وذلك لسببين: الأول لأننا نشعر بعجزنا عن تحقيق أي تغيير– هذا صحيح لدرجة معيّنة؛ والثاني يتعلّق بسيكولوجية البشر التي تحوّل الفريسة الى مفترس– كأن يتحوّل ولدٌ مقهور إلى أبٍ ظالم؛ أو مجموعة مضطهَدَة إلى مجموعة مضطَهِدَة!!

لذلك، ومن أجل وضع بدائل في أساليب التفكير والعمل، دعونا ندقق في بعض أسباب اللجوء إلى العنف:

استخدام الآخرين من أجل تحقيق مصالحنا

أهم مثل على ذلك هو العبودية– العبودية والاستعباد لم يتوقفا حتى يومنا هذا، إذ أن هذا لا يقتصر فقط على اقتناء العبيد والخدم.

هل نمتلك رؤيةً لمعنى الشراكة البشريّة؟

إجبار الآخرين على مماثلتنا

أكان ذلك بالكرازة الدينيّة، أم بالدعوة الحزبيّة، فقد استخدم البشر العنف عبر التاريخ لكي يجعلوا الآخرين يماثلوهم في معتقداتهم وسلوكهم وأعمالهم.

هل نمتلك رؤية لمعنى التنوّع البشري؟

للحصول على شيء ما من الآخرين

لا أحد منّا يمتهن السرقة؛ لكننا جميعًا عالقون في شبكة من العلاقات الكونية الإقتصادية حيث تتعدى قلّةٌ على حق أكثرية. الكثير من الحروب اندلعت بسبب الرغبة في استغلال مقتنيات الآخرين.

هل نمتلك رؤية لمعنى وديعة الخليقة؟

لمقاصصة المخطئين

يقول الباحثون بأن هنالك سببين للاقتصاص من المسيئين إلى المجتمع: العقاب، والاصلاح. لكنَّهم يضيفون: العقاب يأتي أولاً، وكأننا نغتبط أكثر عندما نرى المخطىء يتألم! أو كما هزِءَ المهاتما غاندي من ذلك، حين قال:"شريعة العين بالعين لن تقود إلاّ إلى عالمٍ كلُه عميان»

هل نمتلك رؤية لمعنى العدالة التي تصلح الضحيّة والمجرم؟

لنحمي أنفسنا، والضعفاء

هذه هي حجة المدافعين عن مبدأ حتميّة العنف: استباق العنف بالعنف. لكن مهما عمل إنسانٌ، أو جماعة، في سياقٍ ما، فإن استخدام العنف هو سلوك يرتد على أصحابه بعد حين.

هل نمتلك رؤية لمعنى الأمان الشخصي، والجماعي؟

قد تخطر ببالك أسباب أخرى لدوافع ممارسة العنف، إمّا من خبرتك الشخصيّة، أو من ملاحظاتك في المجتمع؛ وفي كل الأحوال سندرس نواحي أكثر في حلقاتٍ قادمة.

يبدو أن اللجوء إلى العنف صار اسلوبًا متبعًا باطّراد بسبب إهمالنا للبدائل، مثل مصادرنا الايمانيّة، القادرة وحدها على إمدادنا بالدوافع والعزيمة والمَضَاء.

ماهي مصادرنا الايمانية؟ الكتاب المقدس– تراثنا المسيحي– العبادة– روحانيتنا– اختباراتنا– علاقاتنا...هذه كفيلة بتقديم البديل الناجع.

الدرس الكتابي

كتب النبي إرميا رسالة رائعة وغريبة إلى شعب أورشليم الذين كان الملك نبوخذنصّر، ملك بابل، قد سباهم.

إقرأ إرميا ٢٩:٤-٧

إرميا لم يطلب منهم أن يتطلّعوا فقط إلى اليوم الذي فيه يتحررون من السبي. بل طلب منهم أن يعيشوا ملء حياتهم في أرض سبيهم– فيبنون البيوت ويغرسون الجنّات ويؤسسون العائلات. هل فاجأَهم كلام إرميا؟ المفاجأة كانت في كلمات العدد ٧؛ حين أهاب بهم أن يطلبوا (يصلوا من أجل) سلام المدينة التي سُبُوا إليها، ويعملوا من أجلِ خيرها وخلاصها. أي أن خيرهم من خير مدينة سبيهم!

تأملوا في واقعهم؛ لقد شعروا بالمرارة بسبب وضعهم السياسي والحياتي، حيث أجبروا على العيش بين أعداء جنسهم ودينهم. ربّما كان البديل الأقرب إلى مشاعرهم هو الدعوة إلى المقاومة المسلحة والثأر. لكن كلمة الرب لهم دعتهم للعمل من أجل خير أعدائهم.

إقرأ رومية ١٢:٩-٢٠

كان بولس يكتب إلى مسيحيين ذاقوا طعم الإضطهاد. بولس كان واضحًا في أن الإنتقام ليس من صفاتنا، بل يجب أن نغلب الشرّ بالخير. كما أنه من السهل أن نقرأ كلمات يسوع، حول "تحويل الخدّ الآخرَ" (متى ٥:٣٩)، لكن ليس من السهل أبدًا أخذ كلامه عن محبّة الأعداء (متى ٥:٤٤) على أيّ محمل جدّ. لكن الحقيقة هي أن هذا هو منطق المصالحة في مواجهة منطق العنف. إيماننا المسيحي يدعونا إلى محبة أعدائنا محبّة فعلية، في وقتٍ تدفعنا غرائزنا إلى الانتقام من الذين يهدّدوننا أو يسيؤون إلينا.

سؤال: كيف يمكن أن نجد الخير والسلام في عمل الخير والسلام لأعدائنا الذين نخافهم ونحتقرهم ونكرههم؟

كيف نستخدم القوة؟

استهلال

خذ الكهرباء كمثل؛ ما هي مجالات استخدام الكهرباء؟ وما هي محاذير استخدام الكهرباء؟ (اذا كنت تعمل ضمن مجموعة فيمكنك تقسيم المجموعة إلى مجموعتين، تجيب كل منها عن أحد السؤالين). ما هي بعض الأشياء التي تنفع وتضر حسب وجهة الاستخدام؟

من يتّخذ القرار في عائلتكم؟ في كنيستكم؟ في مجتمعكم؟ في وطنكم؟ هل هو شخص، أم مجموعة؟ من أعطاهم السلطة ليصدروا القرار؟ كيف نحكم أن قراراتهم صائبة؟

للتأمل في موضوع القوّة

السلطة هي – ببساطة– القدرةُ على التحكّم وصنعِ الحدث. وإذا ما أردنا أن نكتشف ما إذا كانت هذه السلطة جيدة أو سيئة، وجب علينا معرفة مصدرها ودوافعها. في بحثكم عن استخدامات ومحاذير الكهرباء لا بدّ أنكم تطرقتكم إلى عوامل مثل مصادر التوليد– مصادر نظيفة أو ملوّثة، إمكانية استخدام سوق استهلاكي للطاقة، مخاطرِ الصدمات الكهربائية أو الحريق، فوائد الإنارة والتدفئة وتشغيل الآلات. مَثَلُ الكهرباء مثل جيّد لأي شكلٍ من أشكال السلطة– أكانت مفيدة، أم خطيرة، أم إشكاليّة.

العنف هو نوع من أنواع سُوء استخدام السلطة. لكن ذلك لا يجوز أن يمنعنا عن ممارسة السلطة أو رفض ممارستها؟ هنا يحصل الفراق بين السلطة والعُنف. يمكن أن نتطلع إلى عالمٍ خالٍ من العنف، لكن لا يمكن أن نتصوّر عالمًا خاليًا من السلطة! حتى لو شعرنا بضعفنا وعجزنا، فإن كلاً منا– أو كلنا– يمتلك قوة كافية لفعل شيءٍ ما: نحتاج القوّة لتصليح الخطأ، ولتحقيق الشفاء والمصالحة. بدون استخدام السلطة (انظر التعريف أعلاه) لا يمكن لشيء أن يحدث. جاء في القول المأثور: ينجح ابليس عندما يتقاعس الصالحون.

من أين تأتي السلطة؟ يمكن لأحدنا أن يجيب بأنها تُستَمَدُّ من الله. هذا يعني الاعتراف بأن الله منشأُ كل شيء، أو أن السلطة هي هبة من الروح القدس. البعض يربط السلطة بطبيعة الله؛ولذلك من السهل جدًا الإشارة إلى آيات ومقاطع من الكتاب المقدس تبرّر استخدام العنف على أساس أن الله سمح بذلك. لذلك من السهل جدًا أن نعزو إلى الإرادة الإلهية سوء استخدامنا نحن للسلطة؛ وعندما نلجأ إلى هذا المنطق فإننا نقلب مفاهيم الإيمان رأسًا على

عقب ونجعل الله في صورتنا بدل أن نكون نحن في صورة الله. إن قوةَ القيامة تختلف كل الاختلاف عن قوة القبضة الحديدية، أوالصاروخ، أو العقوبات الاقتصاديّة.

هناك قوة في كل منا– وهذه احدى تجلّيات صورة الله فينا؛ وتزداد القوة وتتعاظم عندما نعمل معًا. هناك وقائع حيّة على هذا من تاريخ شعب الله في العهد القديم، والكنيسة في العهد الجديد، وحياة ملكوتِ الله.

نتحدث أحيانًا عن "منح" القوة للآخرين، أو "تمكينهم"، وكأن القوة هي شيٌ نمتلكه ونستطيع أن نعطيه للآخرين. بدل ذلك الأجدر بنا أن نتحدّث عن "مواكبة"، أو "مساعدة" الآخرين على تعلم كيفيّة استخدام قواهم هم.

القوة– بالنسبة لجميعنا– تنطوي على مسؤولية لجهة استخدامنا إياها. كما تنطوي على مساءلة إن من حيث مصدرها (مصدرالقوة) أو من حيث كل من يتأثر باستخدامنا إياها. غير متناسين ما قلناه سابقًا من أن أفضل امتحانٍ للقوة هو دوافع استخدامها ونتائجه؛ لذا دعونا ننظر في خمسة أنواع مترابطة للقوة:

القوة الماديّة/ الجسديّة

باستطاعتنا التأثير في الأحداث، أو منع التأثير منها، من خلال التهديد باستخدام العنف الحسّي. فاللص المسلح، والشرطي المسلح، كلاهما يعملان على مبدأ واحد: إذا صُوّب مسدس إلى رأسك فالأفضل أن لا تقاوم. المشاغب في ملعب المدرسة، والقوة العظمى، يعتمدان إلى اسلوب واحد: أنا أكبر منك، فاعمل ما أُريده أنا. السؤال هو: لماذا نلجأ إلى العنف عند ما لا تسير الأمور كما نرغب؟ ما هوالبديل؟

قوة الإستغلال

إذا كنتُ أمتلك– أو أسيطر على – شيءٍ تحتاجه أنت، فأنا امتلك فرصةَ استغلالك؛ وبمقدوري أن أتحكّم بحاجتك لأجبركَ عَلى التصرف كما أرغب. الأهل عادة يلجأون إلى هذا الاسلوب للتحكم بسلوكيات أولادهم، فيقدمون لهم المكافأة، أو يحرمونهم من أمور محبّبة. المؤسسات الاقتصادية العالمية تتبع هذا الإسلوب مع الدول الصغيرة، فتعدهم بتقديم الأموال لهم إن هم تبنّوا سياسات معيّنة، أو يحجبونها عنهم إن هم امتنعوا. بعض هذه المصادر قد تكون على شكل مصادر طبيعيّة (البترول– المياه– حق المرور...). أسلوب استغلال الموارد (مالية أو طبيعية) هو اسلوب تلجأ إليه الأقليّة من أجل التحكم بالأكثرية. ما هو البديل الذي يمكن أن نقدّمه نحن؟

قوة المعرفة

هذا النوع من القوة مرتبط ارتباطًا مباشرًا بقوة استغلال الموارد. فمن الممكن أن نحرم الآخرين مما نعرفه نحن، خاصة وأن المعرفة تصبح شيئًا فشيئًا سلعة عالمية خاضعة للحماية القانونية تباع وتشرى. الإعلام هو نوع قاس من أنواع القوة الذي يمكن أن يشوّه الحقائق لتحقيق مآرب وغايات معيّنة. ما هو البديل؟

قوة المركز (المنصب)

بعض الناس يتمتعون بالقوة بسبب المركز الذي يشغلونه– مثلاً الرئيس، رئيس الحكومه، المسؤولون من مختلف المناصب، رجال الدين، الزوج، الأهل...لكن في النهاية لا يمكن أن يستمر استخدام قوة المركز (المنصب) إلا برضى الناس المأمورين. في بعض المجتمعات هناك سلطة للمتقدمين في السن أعطتهم إياها تقاليد الجماعات. كيف يمكن أن نتأكد من أن سلطة أصحاب المناصب ستعمل وفق رغبات الاكثرية؟ ماذا عن سلطة الكنيسة والاكليروس؟

القوة الأدبيّة

المقصود هنا قوة الشخصيّة التي يمارسها كثير من البشر من أجل التأثير على آراء وقناعات الآخرين. هذا الأثر قد يكون للخير، وقد يكون للشرّ!

كيف يمكن أن نحكم على استخدام القوة، من خلال اختبارنا وملاحظتنا لها؟

الدرس الكتابي

أكثر ما يتذكر الناس الملك داوود يتذكرونه في موقفين: الواحد بطولي، والآخر في استخدامه المشين للقوة. فقصّة داوود مع بثشبع وزوجها أوريّا ليست قصّة علاقة جنسيّة غير شرعيّة؟ فحياة داوود كانت مليئة بالعلاقات الجنسيّة التي كان يتقبلها مجتمعه آنذاك. لكن داوود، عندما لمح بثشبع تستحم ورغب بها واستحضرها إلى غرفته وفراشه، أتبع ذلك بعمل خطير جدًا عندما وُجدت المرأة حبلى. أوّلاً قام داوود بدعوة زوج الامرأة– أوريّا للمثول أمامه في محاولة لإيهامه بأنه والد الطفل. أوريّا– ومن موقع مسؤوليته كقائد نبيل رفض أن يترك ضباطه وجنوده في المعركة؛ عندها أعطى داوود أوامره بأن يتمركز أوريّا في الصف الأمامي من المعركة. قُتِلَ أوريا وهو يحارب بشجاعة، وداوود أتخذ بثشبع زوجة له من بين زوجاته العديدات.

إقرأ ٢ صموئيل ١٢:١-٧ /أ

بأية طريقة أساء داوود استخدام القوة؛
ما سبب استعداد داوود لاستخدام القوة بالطريقة الصحيحة في قصة النبي ناثان، بينما قام باستخدام قوته/ سلطانه بصورة مشينة في حادثة أوريّا؟

اقرأ فيليبي ٢:٥-١١

هذا المقطع جميل جدًا؛ وعلى الأرجح أن الرسول بولس كان يردّد كلمات ترنيمة من ترانيم الكنيسة الأولى. هذا المقطع يقول الكثير عن الرب يسوع، وكلّها جديرة بالتأمل؛ لكن دعونا نتأمل فقط في ما يقوله المقطع عن استخدام يسوع لقوته وسلطانه.

ماذا يقول لنا المقطع عن استخدام القوة؟
كيف ترى أن طريق الإخلاء والتماثل والموت هو طريقُ القوة الحقيقيّة؟

ماذا يعلماننا هذان المقطعان عن كيفيّة استخدامنا للقوة في علاقاتنا مع الآخرين؟

كيف نتصرف بعدلٍ وحق؟

استهلال

هل تذكر أنّك مرة رأيت أمرًا ما وقلت عنه "هذا غير عادل"؟ أو "هذا ليس حقًا؟ ربما كان أمرًا حصل لك، أو مع غيرك. ما الذي حدا بك لأن تقول "غيرعادل"؟ أو "ليس حقًا؟ على أي أساس حكمت بذلك؟ كيف كان شعورك؟

ما هي بعض القصص المتداولة في محيطك؟ وأين أوجه الظلم في بعضها؟ لماذا نثور أمام بعض المظالم ولا نثور أمام البعض الآخر؟

للتأمل في موضوع العدالة

عندما نتحدث عن العدالة تتبادر إلى أذهاننا فكرة المحاكم والقضاة والمحامين والشهود والمتداعين...ونشعر أنه من الحيوي جدًا أن تُطبّق العدالة في المحاكم. العدالة هي موضوع أخلاقي، وليس فقط قانوني. العدالة هي التصرف الصائب من أجل تحقيق العلائق الصائبة. صحيح أن "الصواب" هو موضوع مفتوح للمناقشة؛ لكننا نحن مطالبون بالتفكير أبعد من تثبيت الجرم وإصدار الحكم.

على صفحات الكتاب المقدس (العهدين) تطالعنا صورتان للّه : الواحدة تصور الله مثل قاضٍ بشري في المحكمة يصدر حكمًا، والثانية تصور الله كالذي يصنع العدالة ويُجربها. الأولى تحافظ على دور الله كصاحب القرار الأخير فيما هو حق وخير. الله هنا ليس مراقبًا حياديًا، بل قاضٍ يرانا ويحاسبنا على طريقة معاملتنا لبعضنا البعض. في الصورة الثانية يظهر الله– ليس كالذي ينتظر تصرفاتنا ليحكم عليها، بل كمن يحرض الناس على التصرف السليم بعدل وحق؟ ولهذا السبب تسير الرحمة والعدل جنبًا إلى جنب في كلمة الله. القصد ليس معاقبة المذنب حتى نتجنّب الخطأ في المرة القادمة؛ لكن القصد هو إرساء علائق جديدة أو متجدّدة بين البشر.

سفر "القضاة" هو أحد أسفار العهد القديم، يتحدّث عن أناس أقامهم الله كي يقيموا العدل مكان الظلم والخطأ. أنبياء العهد القديم طالبوا بإقامة العدل؛ وفي كل زمان استجاب بشر كثيرون لدعوة الله لاحقاق العدل، وهي دعوة موجّهة إلينا نحن اليوم.

الظلم هو شكل من أشكال العنف، وهو يولّد العنف، حين يسعى الناس إلى تصحيح الخطأ بأسلوب العنف. الظلم يشجع على نموّ وإنتشار العنف السياسي والعرقي والأثني؛ ولا يخفى المطلع المحايد أن يميّز الفظائع التي

يرتكبها أولئك الذين يسعون إلى تحقيق غاياتهم من خلال استخدام كل أنواع القوة الغاشمة. لكن، لا يمكن أن تتحقّق العلائق الصحيحة عن طريق أساليب ظالمة.

في تناولنا للعلاقات بين العدالة والسلام يجدر بنا أن نتأمل في الإستخدامات المتعدّدة لكلمة "سلام". إن إنتهاء أعمال العنف في حالة ما يحقق نوعًا من أنواع السلام؛ إلاّ أن السلام الكامل لا يمكن أن يتحقق قبل التخلص نهائيًا من كل أشكال العنف والظلم وتحقيق المصالحة. كما علينا الاقرار بأن السعي نحو أشكال محدّدة من العدالة فقط– مثل محاسبة المذنبين– يمكن أن يولّد ردود فعلٍ عنيفة.

هل العدالة هي مسألة صواب أو خطأ مبنيّة على نصوص قانونية– أكانت إلهية أو بشرية؟ أم أنها صنع واستعادة العلائق السليمة؟ كيف يؤثر جوابنا على طريقة تصرّفنا؟

بنفس الاسلوب يمكن لنا أن نتأمل في أربعة أنماط من أنماط الظلم (الحيف)، والتي هي تعدٍ على إنسانية الانسان وتشكل تربة خصبة لترعرع العنف.

الحيف الاقتصادي

لا توجد في عالمنا عدالةٌ اقتصادية– لا ضمن البلدان، ولا من خلالها. وقد نجد بلدًا غنيًا بموارده الذاتية في الوقت الذي يرزح شعبه تحت خط الفقر؛ حيث تستغلّ الطاقات والامكانيات والموارد الطبيعيّة لملء جيوب الأغنياء وأصحاب النفوذ. التاريخ مليء بأمثلة عن ظهور طبقات الأغنياء على حساب حقوق الأكثريّة...وما فعلته علمنة الإقتصاد إنما كان نقل هذا الحيف الاقتصادي إلى المستوى الكوني.

الحيف السياسي والاجتماعي

تسابق البشر لإرساء نوع ما (أنواع ما) من الحكم الديمقراطي من أجل تحقيق المجتمع (المجتمعات) الأفضل لحياة البشر؛ لكن حتى أقوى الأمم أدركت عجزها عن التحكم بمصائرها، مهما أوتيت من قوة. وقد نجد عند أكثر الأمم ادعاءً بالديمقراطية مظالم كثيرة ونكرانًا للحقوق السياسية والاجتماعية لمواطنيها بحجّة ضمان الأمن القومي. بينما في بلدان أخرى يمتنع المواطنون عن الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات قناعةً منهم بأن مؤسسات صنع القرار فاسدة ولا تمثّل الإرادة الشعبيّة الحقيقية. حتى في البلدان التي عرفت تاريخًا طويلاً من الاحترام للقانون يؤثر المال والنفوذ تأثيرًا مباشرًا على القرارات السياسية والاجتماعية والقضائية.

الحيف التراثي

تتعرض هويات الشعوب الدينيّة والحضاريّة باستمرار الى التهديدات الاستعمارية التّسلّطيّة، وإلى تأثيرات الإعلام المخرّبة؛ فيتم تدمير كل ما هو تراثي أو حياتي أو اجتماعي أو تقليدي في هذه المجتمعات، ليحل محلها نوع من الثقافة الكونية ذات توجّه مادي تجاري بحت. إن طريقة الحياة التي يُروَّج لها اليوم تركّز على تحقيق الذات الفردية والربح الاقتصادي وتمجيد العنف.

الحيف العرقي

الحيف العرقي هو تصرّف ينزع عن الإنسان إنسانيته الأساسية على إساس مظهره الخارجي، أو انتمائه العرقي. فقد عومل البشر الملوّنون عبرالتاريخ كأناس من رتبٍ أدنى، وأخضعوا إلى إذلالٍ متعمّد من قبل "اسيادهم.

كما سبق وذكرنا، إنّ كلاً من أنواع الحيف هو تعدٍّ علي إنسانية الانسان، ويقود إلى العنف من قبل أولئك الذين يصيبهم هذا الحيف. فماذا نفعل إذن لنحوّل المظالم إلى علاقاتٍ سليمة بين البشر؟ كيف نحقق العدالة؟

الدرس الكتابي

يبدو أن استغلال البشر لبعضهم البعض هو سُمَةٌ بشرّية بامتياز عبر التاريخ. شعب الله في القديم عرفوا كيف يبنون علاقاتهم مع بعضهم البعض أمام الله؛ ومع ذلك احتاجوا إلى الأنبياء ليذكروهم دائمًا بمشيئة الله لهم بأن يتصرفوا بعدل وحق.

اقرأ عاموس ٨:٤-٧

التلاعب بالأسعار والموازين والأسهم والعملات هو تسميات متنوّعة لموصوف واحد، سواء كان في أيام النبي أو في أيامنا هذه: النتيجة واحدة- الفقير هو الضحيّة. وماذا عن التلاعب بالنوعية، أو تغيير تاريخ انتهاء الصلاحيّة، أو استخدام أسماء معروفة لبضاعة مقلدة...؟

ما العلاقة بين "العدل" وعبادتنا لله وايماننا به؟

بعد حوالي ٨٠٠ سنة وقف الرب يسوع في المجمع في الناصرة وأعلن- بكلمات محدّدة من سفر إشعياء- أساس خدمته وكرازته.

اقرأ لوقا ٤:١٧–٢١

حصل هذا اللقاء في المجمع مباشرة بعد التجربة في البريّة، حيث كان يسوع قد رفض قطعيًا أيَّ إغراءٍ بمجدٍ شخصي دنيوي. في كلامه في المجمع لم يهاجم يسوعُ أحَدًا، بل استخدم كلمات النبي ليؤكد على أنه جاء ليُصْلِحَ ما قد فسد، وليَرُدَّ قضاء العدل إلى البشر.

هل تنطبق هذه الكلمات على خدمة وكرازة كنيستك؟

ما هو درس هذين المقطعين لنا اليوم، ولسعينا لتحقيق العدالة؟

استهلال

جمّع بعض الأشياء التي تحكي شيئًا ما عن هويتك– من أنت؛ وثيقة قيد شخصي؛ بطاقة هوية/ جواز سفر؛ شهادة قيادة سيارة...الخ. ما هي الأمور التي تميّزك شخصيًّا ؟ علاقات – معتقدات – قناعات– نشاطات – مصالح– مزايا...؟

اطلب من كل فرد في المجموعة أن يكتب عشر صفات تميّزه شخصيًّا؛ ثم اجمع الأوراق واخلطها وأعد توزيعها لا على التعيين، واطلب من كل فرد أن يحزر من مِن الحضور تصف ورقته.

للتأمل في موضوع الهوية

من المسلّم به أن الناس يروننا بطريقة تختلف عن كيف نرى نحن أنفسنا؟ ومن المفيد جدًا لنا أن نعي هذه الحقيقة، لأننا إن تجاهلناها مِلنا إلى سوءِ فهم بعضنا البعض، وإلى فقدان القدرة على التمييز بين ما نحن عليه وما يجب أن نكون عليه. يمكن أن تنظر كنيسة إلى نفسها على أنها المكان المثالي للرعيّة وللزائرين، بينما في الواقع لا يجد الزائر لها أيَّ دفءٍ أو ترحاب حقيقيين. فإذا ما أردنا– نحن ككنائس– أن نشجع قيام علاقات جيدة علينا أن نرى أنفسنا كما يرانا الآخرون، فنكون أمينين لدرجه نعترف فيها بتقصيراتنا، ولا نحابي من أجلِ كسبِ زمني دنيوي. الكنيسة تمثل وعدَ الملكوت السماوي، فإن لم تعكس صورة الملكوت في كل جوانب حياتها تفقد هويتها الحقيقية. هذ االمنظور كفيل بأن يعطي ايماننا وعبادتنا بُعدًا كونيًا شاملاً وجذورًا حياتية يومية.

ولا يخفى على أحد أن الهوية الدينية تشكّل عاملاً مهمًا في حوادث العنف التي تحصل في المجتمعات وبين الدول (من الأفضل أن نقول "عاملاً" بدل "سببًا"، نظرًا للتعقيدات الكبيرة التي تحوط موضوعي العنف والهوية الدينية). أي أنه في موضوع العنف قد تدخل عوامل كثيرة متشابكة، تزيد من حدّتها وشدّة التأثّرِ بها الهوية الدينيّة وتطغى عليها. فالواقع أن موضوع الهوية الدينية هو أبعد تأثيرًا على مشاعر الناس وعصبياتهم من أي عاملٍ آخر.

قد يسأل أحدنا هل هناك شيء اسمه هوية دينيّة فقط؟ الهوية الدينية ترتبط بما نؤمن به، لكنها لا تنحصر به. فالمسيحيون مثلاً موحّدون على أساس الايمان– مثل قانون الإيمان النيقاوي؛ لكن ذلك لا يعطي كل المسيحيين هوية دينيّة واحدة مشتركة. في الواقع لا تبدو الكنائس مقتنعة فيما إذا كانت الهوية مرتبطة بسياق معيّن، أم مرتبطة بتطوّر تاريخي معيّن حدّد لها

سياقها!! فإذا ما قلنا بأننا يمكن أن ننأى بهويتنا الدينية عن هوياتنا الوطنية والاثنية والسياسية والاجتماعية فإننا نعرض أنفسنا لخطر التعبير عن إيمان لا يشمل الحياة كلها وإنما جزءًا منها.

إن بناء الهوية يحصل ضمن المجتمعات، ذلك لأن الهوية تتكون من خلال علاقاتنا مع الآخرين؛ وتتكوّن الهوية الدينية من طبيعة علاقتنا مع الله. قلنا في بداية هذا الدليل الدراسي بوجود علاقة بين كيف نفهم العنف والسلطة والعدالة، ومفاهيمنا الإلهية؛ فبدل أن نبني هويتنا على أساس علاقتنا مع الله في المسيح يسوع، قد ننساق فعلاً إلى بناء هويّة لإلهنا نابعة من مفاهيمنا الخاصة.

إنّ بناء الهوية يحتاج إلى فرصة لنا لنكتشف من نحن وكيف نتفاعل مع الآخرين. لقد حصل أن قامت مناقشات جادة في مجلس الكنائس العالمي حول فكرة "فُسحة مسكونية" يشعر فيها الفرقاء المختلفون بالأمان في اختلافاتهم. هذا يعني احترام اختلافاتنا دون التفكير في استغلال بعضنا.

قد يكون التفكير في التوصل إلى قبول متبادل بين الأديان خطوةً بعيدة المنال بالنسبة للبعض؛ حيث أن عدم القبول المتبادل هو أيضًا سمة من سمات الهويّة. وما الأصولية والتّشيّع المذهبي سوى ردود فعل من الهوية المهدّدة. لذا نعتقد نحن بأن النظر بايجابية إلى الآخرين يؤثر مباشرة على مفهومنا اللاهوتي لمعنى الإرسالية؛ في حين أن أية اندفاعةٍ إرسالية قد تُفهم على أنها تعدٍ مباشر على مشاعر وعقائد من تستهدفهم. التاريخ يؤكد أن "المرسلين" المسيحيين لم يُراعوا دائما حساسيات الشعوب والأقوام بالنسبة لدياناتهم وثقافاتهم وعاداتهم، بل حاولوا فرض مفاهيمهم الغربية الغريبة على هذه الشعوب. إننا مطالبون اليوم– كمسيحيين – بالتوبة عن هكذا أفعال كيما نستطيع أن نتحرك باتجاه علاقات ايجابية – أقلّه بين المسيحيين – في أرجاء عديدة من العالم.

هل هناك فارق بين قبول الآخرين على قاعدة العلاقات الانسانية السليمة، وقبول معتقداتهم؟ كيف يمكن أن نوفّق بين الالتزام الكامل، والانفتاح على الآخرين؟

هل يمكن أن ننظر إلى الآخرين الذين يختلفون عنا في الإيمان والمعتقد على أنهم مصدر إغناء لايماننا نحن– لا تهديد له؟

الدرس الكتابي

أن نكون شعبًا لله مختارًا هو أمر ينطوي على امتيازٍ ومسؤولية؛ وقد قالها موسى بصريح العبارة إلى شعب اسرائيل في القديم.

اقرأ التثنيه ١٠:١٢-٢٢

هناك محذوران يرافقان الامتياز: قد ننغبط بالامتياز لدرجة ننسى معها المسؤولية، ونتمسّكُ بالامتياز ضمن دائرة مغلقة؛ والتاريخ المقدس مليءٌ بالأمثلة على هذا- لذلك كان موسى يشدد دائمًا على تلازم الامتياز مع المسؤولية، وسار الأنبياء على هذا المنوال دون استثناء. هناك علاقة ديناميكية بين الاثنين تتخطى مجرد التعليم بأن من يعمل مشيئة الله يحصل على رضى الله!

كان بين من شملتهم دائرة الامتياز والمسؤولية في شعب الله في العهد القديم الغرباء الذين عاشوا بينهم- أولئك الذين جاؤوا من أماكن مختلفة، بخلفيات مختلفة، وأصولٍ مختلفة. الله أمر بأن تتوفر لهم العناية والقبول، لهم ولسواهم من الضعفاء والمهمشين.

هل تتضمّن حلقات الامتياز والمسؤولية في كنائسنا غرباء من المجتمع؟ هل يهتم الله بهم كما يهتم بنا - وكيف؟

اقرأ أفسس ٢:١٣-١٨

ما يقوله هذا المقطع ليس مجرّد أن المسيح يحطّم الحواجز بين المسيحيين واليهود؛ بل أن المسيح يصنع تغييرًا كليًّا من خلال الخليقة الجديدة. كيف إذن نتلمّس هويتنا في هذه الانسانية الجديدة المخلوقة في المسيح، في مواجهة حواجز العداوة التي تقسّم الكنيسة والمجتمع؟

ماذا إذن ستفعل؟

أول خطوة في رحلة التغلب على العنف تبدأ بالتأمل الجدي في المواضيع التي أثارتها هذه الدراسة. ونأمل ان تكون هذه المواضيع قد كشفت لكم حقائق أساسية وأثارت عندكم أسئلة جوهرية حول حال الأمور كما هي، وأكدّت لكم مصادر الايمان المسيحي الهائلة. فهل يمكن لنا أن نبدأ مسيرة التغيير في حياتنا، وفي كنائسنا، وفي مجتمعاتنا؟

التركيز والتبصّر

في كتيّب صغير كهذا لا يمكن الإحاطة بكل المواضيع المتعلقة بالعنف والسعي إلى المصالحة والسلام. لذا وجب علينا العمل بتركيز، حيث نختار موضوعًا أو اثنين يستحوذان على اهتمامنا. قد يكونان قضايا محليّة أو عالمية. مثلاً قد تختارون موضوع العنف في محيط كنيستكم؛ أو قد تختارون موضوع المديونية العالمية وتأثيرها على الدول الفقيرة...الخ. لكن، مهما كان الموضوع الذي تختارونه عليكم أن تتناولوا الموضوع بعمقٍ وتركيز، مستبصرين في تعقيداته، مستفيدين من خبرات الآخرين في ذلكً المجال.

اعرف ما تريد

هل تريد ان تتغلب على ظاهرة العنف؟ لا يجدر بك مجرد الحديث عن أهمية المواضيع؛ لأن العنف هو في أغلب الاحيان اسلوبٌ للتعامل مع مشاكل دفينة. لذا وجب علينا التفتيش عن كيفية التعامل مع مشكلة محدّدة دون اللجوء الى العنف، وكيفية إيجاد الحلول لتقليص ونزع الدوافع إلى العنف. يجب أن نتقدم باقتراح بدائل عن العنف ايجابية، قادرة على بناء علاقات سليمة بين الأطراف. لا شك أن حجم العنف في العالم ينزع بنا إلى اليأس من مقدرتنا على عمل أي شيء؛ لكننا نستطيع أن نبدأ بأمور صغيرة نستطيع أن نحقق فيها النجاح...هكذا يمكن أن نبدأ مسيرة التغيير، ولا تهتمّون بما لا يمكنكم تحقيقه – اهتموا بما يمكنكم تحقيقه.

مساهمة بشرية أكبر

مَن مِن كنيستكم يمكن أن يشارككم هذه المسؤولية؟ هناك مجموعات نشيطة في كل الكنائس – شبيبة وسيدات. هناك مجموعات درس الكتاب التي يمكن أن تساهم في شرح فكرة المصالحة! هل عندكم في كنيستكم برنامج رعاية

لضحايا العنف؟ هل من يسمع لهم ويتحدّث إليهم؟ هل يمكن أن تتضافر جهود كنيستكم مع جهود كنائس أخرى في منطقتكم؟ هل من جمعيات او منظمات مدنية تهتم بهذا الموضوع في دائرة خدمتكم؟ كيف يمكن إرساء تعاون بينكم جميعًا؟

صلاة

هناك ناحية خطيرة في الصلاة – فلننتبه! إن ظننا أن الله يمكن أن يغيّر الأشياء دون أن يغيّرنا نحن، سيخيب ظننا. كما رأينا في مستهلّ دراستنا، نحن جزء من مشكلة العنف ولسنا مجرد متفرجين. في الصلاة نفتح قلوبِنا – كأفراد وككنيسة – أمام الله، ونطلب إرشاد وقوةَ روحه القدوس لِيُمَكِّنَنا من السعي إلى المصالحة والسلام، قارنين الصلاة بتغيير حقيقي في مشاعرنا نحو الآخرين وعلاقتنا بهم ضمن إطار المحبة والتسامح المتبادلين. الصلاة هي أداة فعّالة للتضامن مع ضحايا العنف.

شارك أفكارك وخططك مع الآخرين

شارك الآخرين ذوي الاهتمام بما تعلّمته وما تفكّر به. إن عقد التغلب على العنف هو مبادرة من الكنائس تسعى – فيما تسعى إليه – إلى تشجيع أكبر عدد ممكن من الناس والهيئات على المساهمة والمشاركة؛ لذا ندعوكم لإطلاع مجالس الكنائس المحلية والاقليميّة على ما تقومون به. كما أنه من المفيد إطلاع مجلس الكنائس العالمي على ذلك.

«لا يكفي أن نتكلم عن السلام – يجب أن نؤمن بالسلام. وليس فقط أن نؤمن به – يجب أن نعمل من أجل تحقيقه» (إليانور روزفلت)